بحوث في الأدب المقارن (فصليّة علميّة – محكّمة)
كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة رازي، كرمانشاه
السّنة السّابعة، العدد ٢٥، ربيع ١٣٩٦ هـ. ش/ ١٤٣٨ هـ. ق/ ٢٠١٧ م، صص ١٣١-١٤٦

وجوه تأثّر مصطفى وهبي التّلّ (عرار) بعمر الخيّام النّيسابوري[١]

بهروز قربانزاده[٢]
أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة مازندران، إيران

رفيق عطوي[٣]
استاذ بالجامعة اللّبنانيّة وأستاذ منتدب، جامعة بيروت العربيّة

الملخّص

تأثّر الأدباء والشّعراء العرب بعمر الخيّام النّيسابوري عن طريق ترجمة الرّباعيّات، والتّأثير الّذي تركته ترجمة هذه الرّباعيّات عليهم أكثر من تأثير مؤلّفات الخيّام الأخرى، لذا أنشدوا أشعارهم على وتيرة الرّباعيّات، وأدخلوا أفكار الخيّام في أشعارهم والّتي حرّضت بعضهم إلى ردود الفعل حول الرّباعيّات الخيّاميّة. تأثّر عدد كبير من الأدباء والشّعراء العرب بأفكار الخيّام منهم: الأديب والشّاعر الأردني مصطفى وهبي التّلّ المعروف بعرار (١٨٨٩-١٩٤٩)، الشّاعر اللّبناني، إيليا أبو ماضي (١٨٨٩-١٩٥٧) الكاتب والشّاعر المصري، محمود عبّاس العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤) الكاتب والشّاعر الأردني، تيسير سبول (١٩٣٩-١٩٧٣) والكاتب والشّاعر العراقي جميل صدقي الزّهاوي (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣ م) وإلخ؛ ولكنّ يبدو أثر عمر الخيّام في مصطفى وهبي التّلّ أكثر وضوحاً بالنّسبة للآخرين. قد حاولنا جاهداً في هذه الدّراسة أن نقدّم صورة واضحة لهذا التّأثير والتأثّر. ارتأينا للإجابة على هذه الإشكاليّة، أن نبحث في المكتبات العربيّة والإيرانيّة عن المصادر والمراجع المطلوبة. كما قمنا بتحليل أشعار عرار ومقارنة بين كلّ أبيات من ديوانه ورباعيّات الخيّام، من أجل إثبات تأثّره بالخيّام، وذلك مستعيناً بالمنهج التّحليلي. تشير النّتائج إلى أنّ تأثير عمر الخيّام في مصطفى وهبي التّلّ أكثر وضوحاً بالنّسبة للمتأثّرين العرب الآخرين. وتأثير الخيّام، فيه واضح في جميع نواحي حياته، حتّى كان يرسل شعره على كتفيه أسوة بعمر الخيّام خصوصاً نهج إقبال عرار في أنشودته على شرب الخمر، منهج الخيّام بصورة واضحة جدّاً كذلك يوصى عمر الخيّام أن يغسل حين وفاته بالخمرة، وأن يرفع في نعش مصنوع من أغصان الكروم كذلك عرار في أشعاره تحت عنوان «اغسلوني بخمر» يتأثّر بالخيّام فكراً ولفظاً وهذا يدلّ على أوْج اهتمام عرار بالخمر لا يريد أن يفارقه حتّى في القبر.

الكلمات الدّليليّة: الأدب المقارن، عمر الخيّام، مصطفى وهبي التّلّ، التّرجمة، التّأثير والتأثّر، الرّباعيّات.

---

١. تاريخ الوصول: ١٤٣٨/١/١ تاريخ القبول: ١٤٣٨/٦/٩
٢. العنوان الألكتروني للكاتب المسؤول: b.ghorbanzadeh@umz.ac.ir
٣. العنوان الألكتروني: r.atvi@gmail.com

١. المقدّمة

١-١. إشكاليّة البحث

عمر الخيّام النّيسابوريّ شاعر إيرانيّ كبير وصاحب الرّباعيّات الّتي اشتهرت في العالم أجمع. تأثّر عدد كبير من الأدباء والشّعراء العرب بأفكار عمر الخيّام، لكنّ حصّة تأثيره في مصطفى وهبي التّلّ[1] (١٨٩٩-١٩٤٩ م) أكثر وضوحاً بالنّسبة للآخرين. تعرّف عرار إلى الخيّام ورباعيّاته في مرحلة مبكّرة من عمره، فأسرته الشّخصيّة الخيّاميّة، وتأمّلاتها في الوجود الإنسانيّ، فحاول أن يتقمّصها سلوكاً وفنّاً، فأطال شعره، وأمعن في معاقرة الخمر، بل إنّ أوّل معرفته بالشّراب كانت بعد قراءته رباعيّات الخيّام من ترجمة وديع البستانيّ، الصادرة عام ١٩١٢ م.

أخذ عرار بالخيّام والشّخصيّة الخيّاميّة طيلة حياته، وظلّ محور اهتمامه. ففي المرحلة الأولى من معرفته الخيّام، وكان مازال صبيّاً، اتّخذه مثالاً يحاكيه محاكاة ساذجة تنسجم مع عمره، ظهرت في سلوكه، وفي بواكيره الشّعريّة الّتي يحمل بعضها آثاراً خيّاميّة واضحة. لكنّه في المرحلة التّالية، انكبّ على قراءة الخيّام، وقراءة ما كتب عنه محاولاً فهم فلسفته وشخصيّته. فعكف في مطلع العشرينات من القرن العشرين على ترجمة رباعيّات الخيّام ترجمة نثريّة. اعتمد فيها على معرفته القليلة باللّغة الفارسيّة الّتي قال إنّه تعلّمها من أجل قراءة الرّباعيّات بلغتها الأمّ. وهو يعدّ نفسه في الواقع التّلميذ الأصغر له (صالح الزّعبي، ١٩٩٩: ٥).

١-٢. الضّرورة والأهمّيّة والهدف

عمر الخيّام النّيسابوري ترجع شهرته في العصر الحاضر إلى رباعيّاته الشّهيرة والّتي ترجمت إلى اللّغات الكبيرة في العالم أجمع. وسبب انتشار هذه الرّباعيّات الخيّاميّة وترجمتها إلى اللّغات الحيّة يرجع إلى تطرّق عمر الخيّام إلى مسائل عامّة في رباعيّاته وهذه المسائل تجري في أذهان البشر في كلّ مكان وزمان منها: الحيرة في أسرار الخلق والرّوح والوجود والمعاد والموت وإلخ. وذلك كان السّبب الرّئيس في إقبال الأدباء العرب على الخيّام ورباعيّاته. وبدأوا يترجمون الرّباعيّات في الخطوة الأولى وبعد ذلك ظهر تأثيرها في أفكارهم وفي آثارهم وحصّة تأثير ترجمة رباعيّات الخيّام فيهم أكثر من سائر مؤلّفات الخيّام لذا أنشدوا أشعارهم على وتيرة الرّباعيّات وأدخلوا أفكار الخيّام في أشعارهم وحرّصتهم إلى ردود الفعل حول الرّباعيّات الخيّاميّة ويعتبر مصطفى وهبي التّلّ من أكبر المتأثّرين بالخيّام ومن ثمّة تأتي ضرورة وأهمّيّة البحث. ونحن نهدف في بحثنا هذا الكشف عن تداعيات التّرجمات الشّعريّة والنّثرية للرّباعيّات في آثار الأدباء العرب.

١-٣. أسئلة البحث

نحاول في هذه الدّراسة أن نجيب بأهمّ الأسئلة الّتي تتشكّل أهدافنا الرّئيسية في هذا البحث وهي:

- ما هي الصّلة الّتي كانت موجودة بين عرار والخيّام؟
- ما هي العوامل الّتي جعلت عرار يميل إلى الخيّام وترجمة رباعيّاته؟
- ما مدى تأثير الخيّام في مصطفى وهبي التّلّ؟

١-٤. خلفيّة البحث

هناك دراسات عديدة حول عمر الخيّام وتأثيره في الأدباء العرب، ولكن لم يكن بحثا مكتملا عن تأثير الخيّام في الشّاعر الأردني عرار ومن أهمّها يأتي في ما يلي:

قربانزاده (٢٠١٣)، مقالة تحت عنوان «تأثير عمر الخيّام في جميل صدقي الزّهاوي»، تناول فيه الكاتب طرق تعرّف الزّهاوي بعمر الخيّام ومدى تأثّره به. قربانزاده (٢٠١٤)، «تأثير عمر الخيّام في عبد الوهاب البياتي»، تناول الكاتب فيها تأثّر البياتي بالخيّام ومدى انعكاسات ذلک في دواوينه. قربانزاده (٢٠١٥)، مقالة تحت عنوان «تأثير عمر الخيّام في إيليا أبو ماضي»، تطرّق الكاتب فيها إلى إيليا أبو ماضي وأشعاره وإلمامه باللّغة الفارسيّة وترجمة رباعيّات الخيّام إلى العربيّة. وبعد ذلک توقّف الكاتب عند قصيدة الطّلاسم لإيليا أبو ماضي وكشف عن وجوهات تأثّره بالخيّام فيها ومقالة بسّام علي ربابعه (١٣٨١)، تحت عنوان «**تلاش‌های شاعر بزرگ اردن (عرار) در قلمرو ادبیّات فارسی**»، تناول فيها الكاتب خدمات مصطفى وهبى التّلّ (عرار) بالأدب الفارسي على مستوى المقالة والتّرجمة والكتاب. ونظر فيها إلى تأثّر عرار بالخيّام نظراً عابراً وضرب مثلا عن هذا الموضوع فقط ولم يدخل بتفاصيل البحث.

١ –٥. منهجيّة البحث والإطار النّظري

إنّ معالجة ظاهرة تأثير عمر الخيّام في مصطفى وهبي التّلّ والأسباب المؤثّرة فيه من وجهة منهجيّة، تبيّن لي أنّها انطلقت من ضمن الدّراسة المقارنة، وفقاً للمدرسة الفرنسيّة، وهي في النّقد الأدبي المقارن تحاول أنّ تسلّط الضّوء على تأثّر عرار بعمر الخيّام. قد حاولنا جاهداً في هذه الدّراسة أن نقدّم صورة واضحة لهذا التّأثير والتّأثّر. ارتأينا للإجابة على هذه الإشكاليّة، أن نبحث في المكتبات العربيّة والإيرانيّة عن المصادر والمراجع المطلوبة. كما قمنا بتحليل أشعار عرار ومقارنة بين كلّ أبيات من ديوانه ورباعيّات الخيّام، من أجل إثبات تأثّره بالخيّام، وذلک مستعينين بالمنهج التّحليلي.

٢. البحث والتّحليل

عاصر الخيّام الدّولة السّلجوقيّة، وعرف من سلاطينها ألب أرسلان وملكشاه. يتّسم عصر الخيّام بصفة اجتماعيّة بارزة هي عدم الاستقرار، ونجم عن ذلک، سيطرة اليأس والتّشاؤم على نفوس النّاس عامّة والشّعراء خاصّة، ونتيجة لذلک لجأ الكثيرون إلى العزلة بصورة لم يكن لها نظير في العهود السّابقة، ووجد التّصوّف مرتعا خصبا بين السّاخطين على دنياهم. ومن الظّواهر الخطرة آنذاک تفشّي المجون والاستهتار بالخلقيّات ويتمثّل ذلک في شرب الخمر جهاراً، وفي عشق الغلمان[٢]. سيادة نزعة التّشاؤم وكراهيّة الزّمان وكذلک سير التّيار الفكريّ للمنظومات في اتّجاهين متعارضين، أحدهما يساند الفلسفة والحكمة والآخر يعارضها ويعتبرها إلحاداً، هي كانت من أهمّ خصائص الشّعر الفارسيّ في العصر السّلجوقيّ. اشتهر معظم شعراء هذا العصر بالخلاعة والمجون والإسراف والغرق في بحار المتعة، نتيجة لما وصل إلى أيديهم من أموال أغدقها عليهم العظماء بلاحساب. (صفا، ١٣٦٩: ٣٣٥)

خلاصة القول إنّ الخيّام عاش عصراً مضطرباً، كان له تأثير في حياته وفكره وفي رباعيّاته، فتقلّب كمعاصريه بين اليأس والتّشاؤم والأمل والتّفاؤل والخشية والرّجاء. كانت الحياة اللاهية – بما فيها من خمر ورقص ولهو – هي السّمة البارزة والانحلال الخلقيّ، يضرب أطنابه في المجتمع، مما أثّر في الأدب والمسيرة الأدبيّة وغيرها، جعلنا نجد آثار الأدباء حافلة بالحديث عن اللّذائذ، ووصف حياة القصور والحانات والجواري، والإشادة بقيمة المال وبالحضارة الصّاخبة، وكشف مكنون الصّدور في إلحاد واستهتار بالشّرع والخلقيّات (المصدر نفسه: ٢١٧–٢٣٠).

وإلى الجانب الآخر نرى أنّ مصطفى نشأ في ظلّ والديه الّذين لم يكن بينهما أدنى انسجام أواتّفاق، بل إنّ حياتهما كانت

مشاكسة وصراعاً متّصلين أدّيا في النّهاية إلى الطّلاق الّذي أحدث في نفس الطّفل شرخاً عظيماً لم يكن ليتحمّله أو ليفهمه، ففقد الاتّزان الّذي كان على الأسرة أن توفّره له، فنشأ ثائراً متمرّداً، قلقاً ساخطاً منذ حداثته، وقد وجّه ثورته وسخطه إلى أبيه أولاً، إذ رأى أنه السّبب في حرمانه من حنان الأمّ، كما وجد فيه رمز القسوة والتّسلّط. طلاق أم مصطفى هو الّذي جعله ينهزم في معركة الحياة، وينتحر انتحاره البطيء بالخمر والشّذوذ (الملثّم، ۲۰۰۹: ۱۰۴). والحقيقة أنّ شعور مصطفى بذاته، وطموحه العظيم، قد نفى عنه كل شعور بالاستقرار، أو التّوادع مع الحياة، الأمر الّذي أدّى إلى تعميق ثورته وتمرّده، وتوسيعهما، ليشملا المجتمع كلّه، بما فيه من عادات وتقاليد وقوانين ومعتقدات، وذلك لأنّه وجد أنّ فجوةً عظيمة تقوم بين ما يريده لمجتمعه، ولنفسه في هذا المجتمع، وبين الواقع الّذي يعيشه حقيقة (صالح الزّعبي، ۲۰۰۳: ۳۳).

غذت ثورة مصطفى نفس شديدة الحسّاسيّة، وذكاء وقاد، ورؤية عميقة للحياة، فلم يرض بالمجتمع والحياة كما وجدهما، بل كان يريدهما كما يرى هو، ويسعى جاهداً للعمل على تغيير هذا المجتمع في جوانبه: السّياسيّة، والاقتصاديّة والاجتماعيّة. وقد اتّخذ في سبيل تحقيق غايته هذه، أسلوب الثّورة والتّمرّد والتّحدّي المباشر للمجتمع، غير أنّ هذا الأسلوب قد جرّ عليه الويلات، فسجن ونفي، وشرد وعذب، ثمّ وجد نفسه وحيداً، قد تخلّى عنه حتّى أقرب النّاس إليه، فشعرأنه قد أخفق في ثورته، ولم يستطع أن يقترب مما أمّل الوصول إليه، فغرق في لجّة من التّشاؤم والسّوداويّة، وانكفأ على نفسه، وأغرقها بالخمر إغراقاً، لعلّها تنسى واقعها المرّ، فقد رأى مصطفى في الخمر مخرجاً، وإن كان زائفاً، للهرب من واقعه ومجتمعه (الطّريفي، ۲۰۱۰: ۲۹) وإلى أنّه تعرّف إلى الخيّام من خلال قراءة ترجمة وديع البستاني الرّباعيّات الخيّامية وتأثّر بها تأثّراً عميقاً (البستاني، ۱۹۸۸: ۴۴).

إنّ تأثير الخيّام، في مصطفى وهبي التّلّ (عرار) واضح في جميع نواحي حياته، حتّى إنّه كان يرسل شعره على كتفيه تأسّياً بعمر الخيّام (قربانزاده، ۲۰۱۱: ۶۸) جعلت روح الخيّام وأفكاره تترك آثارها في الرّجل، في مسلكه وابداعاته الفنّيّة شعراً ونثراً بصورة واعية ولا واعية، في المرحلة الأولى خاصّة، في ما يتعلّق لقضيّة الشّكّ في رباعيّات الخيّام. وتطوّر عشقه للخيّام وتأثّره به إلى ترجمة مختارات من الرّباعيّات. يعود تاريخها الأوّل إلى عام ۱۹۲۲، إذ ترجم مئة وخمساً وخمسين رباعيّة نثراً (بكار، ۱۹۸۸: ۲۶۶) وتلك أقدم محاولة نفذها عرار لترجمة مختارات من رباعيّات الخيّام. بعد ذلك، قام عرار المرّة الثّانيّة بترجمة مختارات من إثنتين وثلاثين رباعيّة للخيّام نثراً عام ۱۹۲۵ م، وهي الّتي نشر نموذجاً منها في مجلّة «منيرفا» اللّبنانيّة (وهبى التّل، ۱۹۲۵: ۱۷).

يقول عرار: «إنّ حبّه للخيّام أدّى إلى تعلّمه اللّغة الفارسيّة، ومن ثمّة إلى ترجمة الرّباعيّات.» (الملثم، ۱۹۸۰: ۹۴) ويقول في مكان آخر: «إنّه خيّاميّ المشرب، وخلاعته وترفه متأثّر بالخيّام، ولا يناقض تأثير الخيّام في شعره.» (صالح الزّعبي، ۲۰۰۳: ۱۰) وجوه تأثّر عرار بعمر الخيّام تتجلّى في اغتنام الفرصة المتاحة والإقبال على الخمر، والتّوبة، والألفاظ الفارسيّة، والملالة والحزن والضّجر من الحياة والخلاعة والتّرف وإلخ.

۲-۱. اغتنام الفرصة والإقبال إلى الخمر

هام عرار بالخمرة منذ صباه، ففي أعقاب عام ۱۹۱۵ أغلقت مدرسة عنبر أبوابها صيفاً، وعاد الطّلاب إلى أهلهم وعرار في عدادهم، وبعد وصوله إلى إربد يمّم بلدة الحصن وبات ليلته بين صحبه مسروراً مخموراً، وأنشأ يتغنّى بالخمر وروعة تلك اللّيلة ونظم قصيدة «ليلتي بالحصن»:

فاسقني الخمرة من غير توانٍ ورداني اليومَ بِالخمرةِ بُلّهْ

إنّ مَن لا يشربُ الخمرةَ جحشٌ إنّ مَن لا يشربُ الخمرةَ أبلهْ
يا رفاقي، كيف لا أشربُها؟! وتُرابي كان بالخمرِ جِبِلّهْ
فاعذروني صحبتي لا تعذلوا إنّني بالخمرِ مشغوف مُدلّهْ

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٥٤٨)

وكانت حياته شعراً وخمراً، ومعجمه الشّعري ضمّ ما يندر أن يكون له مثيل عند أقرانه من الشّعراء، إذ تكرّرت ألفاظ كثيرة تتّصل بالخمرة وشربها مثل: سقى، شرب، عاقر، سكر، الخمرة، الكرم، العنقود، بنت العناقيد، ماء الكروم، الصّهباء، الكأس، الشّراب والحانة، النّدامى، حانوت، دكّة الخمار...؛ وهذا ما تردّد في الخمريّات القديمة، فضلاً عن المشروبات الحديثة كالعرق، والكونياك، والويسكي، والبيرة وإلخ.

كان أبو نواس والخيّام رائديه في الخمريّات، وقد سمّى بأبي نواس العصر الحديث وذلك لإدمانه واشتهاره بشربها، على الرّغم من نصحه ليتوب، لأنّ الخمر رجس من عمل الشّيطان. الخمرة لعبت دوراً بارزاً في رفد معجم عرار اللّفظي وتشكيله وفق ما يريد، وتكاد تكون ألفاظ الخمرة ومشتقّاتها من أكثر الألفاظ شيوعاً في شعر عرار، ولعلّ ذلك عائد إلى إدمان الشّاعر عليها وحبّه لها، فقد تعشّقها صغيراً، وأدمن عليها طيلة حياته، وكان يجد فيها الملاذ والملجأ للهروب من الواقع الّذي يعيشه. وارتبط بحديث الشّاعر عن الخمرة استحضاره لعدد من الأسماء الّتي كانت تعني له المتعة وتحقيق السّعادة في هذا المجال. منها: قعوار، ميشال، اسحق السّمارة، ابن شابيرا، راحيل (صالح الزّعبي وزملائه، ٢٠٠٢: ٢٣٨). إنّ أكثر ما عالج الخيّام في رباعيّاته شيئان، هما: الخمر وهذا الكون، أمّا الخمر فإنّه قد دعا إلى شربه، وحثّ عليه بأساليب مختلفة ومتنوّعة، هي في غاية الإغراء، فتارة يصف ما في الخمر من فائدة وهي دواء، وطوراً يظهر ماله من آثار على تخفيف الهموم وحيناً يزعم أنّ السّرور لا يتمّ إلاّ بالخمر (دشتي، ١٣٦٤: ٢١٥).

ويقول عمر الخيّام داعياً إلى شرب الخمر قبل فوات الأوان لأنّه دواء:

مَا أسرَعَ مَا يَسِيرُ رَكبُ العُمرِ قُم فَاغنَم لَحظَةَ الهَنَا وَالبشرِ
دَع هَمّ غَدٍ لِمن يَهِمُّونَ بِهِ وَاللّيلُ سَيَنقَضِي فَجِئ بِالخَمرِ
مَن ماتَ لايَحيى لَعَمرُكَ مَرّةً أُخرى فَبَادِر وَاحسُ جَامَ رَحِيقِ
مرّها الحلوُ فهي طبّي ودائي

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ١٥٦)

وأيضا تتردّد في رباعيّات الخيّام الدّعوة إلى الصّبوح، وإلى انتهاب اللّذات قبل أن يحين الأجل فينقضى العمر:

جاءَ مِن حاننا النّداءُ سُحَيراً يَاخلِيعاً قد هامَ بِالحاناتِ
قُم لِكَي نَملأَ الكُؤوسَ مدَاماً قَبلَ أن تَمتَلي كَؤوسُ الحَيَاةِ

وله أيضاً:

أُحسُّ الطِّلاَ عَنكَ يَزُل هَمُّ الوَرَى وَقِلةُ الأُمورِ أو كَثرَتُهَا
وَلاَ تُجَانِب كِيمِيَاءَ قَهوَةٍ تُزِيلُ ألفَ عِلّةٍ قَطرَتُهَا

يعتقد أنّها تطرد الهمّ:

إشـرِبِ الـرَّاحَ فَهـي رَوحُ الـرُّوحِ بَلسَـمُ الـنّفسِ والحَشَـا المَجـرُوحِ
وإذَا مَـا دَهَـاكَ طُوفـانُ هَـمٍّ فَـانجُ فِيهَـا فَـذِي سَـفينَةُ نُـوحِ

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٥٦)

عرار في ديوانه «عشيّات وادي اليابس»، يتحدّث مباشرة عن الخمر، ويدعو إلى شربه، لأنّه دواء، وذلک متأثّراً بالخيّام:

هاتِها واشربْ فإنَّ العيدَ فصحُ وقبيحٌ بالفتى بالعيدِ يصحو
قالوا: تعاقروها؟قولوا لهم علناً: إنّي أعاقرُها في كلّ دُكّانِ
قالَ الأطبّاءُ: لا تشربْ فقلتُ لهُم: الشّربُ لا الطّبُ عافاني وأبراني
علـيَّ بالكـأسِ فالـدّنيا مهازلُها طغتْ على النّاسِ لكن شَرّ طغيانِ

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٢١٣-١٧٠)

في تلك الأبيات إقبال عرار على شرب الخمر، واضح جداً. ويوصى عمر الخيّام أن يغسل حين وفاته بالخمرة، وأن يرفع في نعش مقدود من أغصان الكروم:

إجعَلُـوا قُـوتِي الطِّـلا وَأَحِيلُـوَا كَهـرُباءَ الخـدُودِ لِلبَـاقوتِ
وَإذا مِتُّ فَـاجعَلُوا الـرّاحَ غُسلِي وَمِـن الكَـرمِ فَاصـنَعُوا تَابُـوتِي

(المصدر نفسه: ٣٤٣)

يؤكّد الخيّام نفس المضمون في الرّباعيّة التّالية:

إن مُـتُّ فَـاكتُمُوا رُفـاتِي وَاجعَلُـوا آخِـرَ أمـري عِظَـةً بَـينَ المـلا
وَبِالطّـلا أمزِجُـوا ثَـرَايَ وأصـنَعُوا مِـن طِينِـهِ غِطـاءَ راقُـودِ الطِّـلاَ

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٥٧)

وأيضاً عرار في أشعاره تحت عنوان «أغسلوني بخمر» يتأثّر بالخيّام فكراً ولفظاً وهذا يدلّ على أوْج اهتمام عرار بالخمر هو لا يريد أن يفارقه وهو في القبر:

أنا إنْ مِـتُّ فاغسِـلُوني بِخمـر إنّ مـاءَ الكـروم يُحيـي عظـامي
حنطـوني بترهـا ثمّ رُشّـوا كفـني مـن رحيقهـا المختـوم
وادفنـوني في حانـةٍ عنـدَ دَنّ بيننـا مسـكرُ الـدَّنانِ مقـيم

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٦٠)

في هذه الأبيات يبدو الشّاعر كما قلنا متأثّراً إلى حدّ بعيد بعمر الخيّام، لا بل إنّ هذه الأبيات تكاد تكون ترجمة لبعض رباعيّات الخيّام، وواضح أنّ التّشابه ليس في الفكرة فقط، بل نجد تماثلا في اللّفظ.

يختار الخيّام أن يكون عيشه بين ثلاثة: النّديم والكأس والموسيقى، ويكون النّديم صبيح الوجه يعاطيه كأساً تخلّصه من أوهامه وهمومه على وقع أنغام شجيّة تداوى جراحه النّازفة:

أين النّديم السّمحُ؟أين الصّبوح؟ فقد أمضّ الهمّ قلبي الجريح
ثلاثة من أحبّ المنى: كأس وأنغام ووجه صبيح

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٦١٣)

وفي مناسبة أخرى يتغنّى بالخمرة ويشيد بها، تروّى أوصاله فهو يهيب بالنّديم أن يفيق من نومه ليعاطيه كأس خمرة:

أفق وهات الكأس أنعم بها واكشف خفايا النّفس من حجبها
ورقّ أوصالي بها قبلما يصاغ دنّ الخمر من تربها

(المصدر نفسه: ٤٥-٦٣)

ويعلن الخيّام أنّ الطّبيعة ملائمة فيهيب بالنّدامى للتّمتع بها وملازمة الأفراح، واغتنام فرصة الحياة السّعيدة، والالتذاذ بما فيها من جمال أخّاذ باهر:

صفا لك اليومُ ورقّ النّسيم وجال في الأزهار دمعُ الغيوم
ورجّع البلبل ألحانه يقول هيّا أطرب وخلّ الهموم

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٦٢٢-٦٢٣)

عرار في قصيدته في بحر مسمّط تحت عنوان «يا نديمي» تأثّر بفلسفة الخيّام وتلك الفلسفة موضوعاتها اغتنام الفرصة المتاحة، والخلاعة، والإقبال على شرب الخمر والحانات. يقول:

يا نديمي! هل سمعتَ الغردا؟! هاتِ نحسو كأُلُّنا رغم العدا
قد خُلقنا للصّفا لا للشّقا همُّنا نصفو ونلهو أبدا
بين ناي ورباب وشراب

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٨٤)

يمكننا القول، إنّ تلك الأبيات لعرار متأثّرة بالرّباعيّات الفارسيّة المترجمة التّالية أيضاً:

هَلُمَّ حَبيبي نَترِكِ الهَمَّ في غَدٍ وَنَغنَم قصيرَ العُمرِ قبلَ فَوَاتِ
سَنُزمِعُ عَن ذِي الدّارِ رِحلَتنا غَداً بِسَبعَةِ آلافٍ مِنَ السّنَواتِ

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٦٤)

عرار في سباعيّته بعنوان «صوت القبر» و«منكر ونكير» في البحر الخفيف، يحاكي بعض رباعيّات الخيّام الّتي ترجمها وديع البستانيّ:

صوت القبر/ أشربوا الخمر واهنأوا يا صحبي/ واروووا.../ شارب الخمر لا يعذبه ربي/ إنّني كنت طائشاً سكّيرا/ إنّني كنت كافراً شرّيرا/ وكذا كنت عاشقاً ولهانا/ فكفاني الهوى بموتي عذابا/ منكر ونكير (١٩٨٨: ٥٠).

٢-٢. التّوبة

إنّ الفعل الأخلاقيّ الرّام، يوحى به الضّمير، ونور باطنيّ ملهم لسلوك الإنسان ليهديه سواء السّبيل... وهذا يتوقّف على صدق النّيّة، الّتي تصبغ العمل الأخلاقيّ وتقييم جميع الدّيانات وزناً كبيراً للنّيّة وذلك في تقدير مسؤوليّة الفرد وجزائه عن حسناته.

وعندما يعقد الإنسان نيّته ويراها بعين قلبه وبصيرته فقد يأسف ويندم وهنا تكون التّوبة...

أراد الخيّام أن يختم شيخوخته بخير وسلامة فأصبح يفكر في كلّ شيء من ناحيته الدّينيّة والصّوفيّة وهذه الرّباعيّة تؤكّد قول الخيّام وقد بلغ من الكبر عتيّا:

غداً سأطوي ذيل حاضر تويي للخمر أمشي في معيّة شيبي
سبعون عاما عشتها يا رفقتي إن لم أبادر سوف أظلم قلبي

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٢٣)

كما بيّنا أنّ الخيّام يعود بعد نكران الآخرة والخوض في الملذّات ومعاقرة الخمر إلى الله، ويعلن إيمانه بالحساب والجزاء، ويطلب العفو والمغفرة، حيث يقول:

يَا رَبّ إنّکَ ذو لُطفٍ وذُو کَرَمٍ فَفيمَ لا يَدخُلَنّ المُذنبُ الخُلدا
مَا الجُودُ إعطاءُ دَارِ الخُلدِ مُتّقٍ إنّ العَطَاءَ لِأصحَابِ الذّنُوبِ نَدَى

(المصدر نفسه: ١٤٠)

شعر الخيّام بشعور الأسف، فطلب المغفرة، وطلب التّوبة، وكان ذلک في خلوته مع نفسه ومحاسبة ذاته. وإنّ النّقد الذّاتيّ لسلوكه مع الكوز والخمرة كان يدفعه لطلب التّوبة نصوحاً... ويقول:

يا عالم أسرار جميع الخلق يا ناصر كلّ عاجز ذي كرب
تب عني يا ربّي واقبل عذري يا قابل عذر عبده والتّوب

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٤٣٨)

ولكنّ توبة الخيّام فيها تذبذب وارتداد. وسبب التّذبذب ضعف الإرادة وعدم سيطرتها على النّفس والعقل:

إيّاک أن تتوب عن شرب مدام ما أكثر من يَنقضُها في الحال
الوردُ نضا الكمام والبلبلُ هام هل تصدقُ توبةٌ بهذي الحال

(المصدر نفسه: ١٢١-١٢٢)

كأنّ القناعة التّامّة لم تكتمل في نفسه، ولم تنضج في وجدانه، لذا نراه متردّداً:

لَو تسقِي الطّودَ لاَعتَراهُ الرّقصُ مَن ينتَقِصِ الرّاحَ فَفِيهِ النّقصُ
حَتّى مَ تَقُولُ لي عَنِ الرّاحِ فَتُب هذِي رُوحٌ بِها يُرَبّى الشّخصُ

(المصدر نفسه: ٣٣٨)

أمّا عرار نفي عام ١٩٣١ إلى العقبة، وهناک خطر بباله أن يكفّ عن الشّراب ويتوب إلى الله، وأن يرسل لحيته وينصرف إلى تلاوة القرآن الكريم، وفي منفاه نظم قصيدة التّوبة ووجهها للشّيخ عبد الله السّراج رئيس وزراء الأردن عهد ذاک:

أمولانا أمولانا هجرنا الدّنَّ والحانا
وطلقنا مغاني الأُنس أقداحاً وندمانا
فما نهفو لأنغام ولانشتاقُ ألحانا

(عطا الطّريفي، ٢٠١٠: ٢٨٠)

يعلن عرار في قطعة «ذكرى وحنين»، استعداده لترك شرب الخمر وإقباله على التّوبة نهائيّاً، قائلاً:

حطمتُ كأسي واعتصمتُ بتوبةٍ قد أهبتْ صفعاً قفا شيطانِهِ
وأنبتُ عن شُربِ العقارِ وبذلِهِ وتنَزهت شفتايَ عَن أدرانِهِ

(المصدر نفسه: ٤١٩)

يظلّ أثر الخيّام في عرار جليّاً ومن ذلك، ندامة من شرب الخمر ومعاقرته والدّعوة إلى التّوبة، حيث يقول عرار في أشعاره تحت عنوان «يقولون تب عنها» من البحر الطويل:

يقولونَ: تُبْ عنها.لسوف أتوبُ وسوفَ إذا ربي أرادَ أُنيبُ
لك اللهُ يا قلبي، لكَ اللهُ خافقاً به من تباريحِ الهُيامِ نُدوبُ

(المصدر نفسه: ٤٦٤-٤٦٥)

يسلك عرار مسلك الدّراويش والصّوفيين، ويتنكّر بشكلهم، حيث يقول في قطعة شعريّة مسمّاة «سأفتح حانة... للنّدامى» وقطعة «على رسلكم»:

سأطلق لحيتي وأطيلُ شَعري وأُقري كلَّ درويشٍ سَلاماً
لا تعجبوا يا قومُ إنّ تصوفي ما زالَ مفتقراً إلى بُرهانه

(الطّويلي، ٢٠٠٣: ٤٩)

وله أبيات يتحدّث فيها عن إيمانه بالله وطاعته وذكربّه، وذلك في قطعة «خاتمة المطاف» وقصيدة «أنفاس عيد الفصح»، حيث يقول:

لستُ صوفياً ولكنّني إذا أحضرُ الذكرَ، فذكري فيه شطحَ
وأنّ صومعة النّساكِ قد هُدمت وأنّ أكواخَهم رمزٌ لإيماني

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٧٧)

قبل الوفاة وفي أواخر أيّامه، يردّد عرار بعض أبيات فيها نفس المتصوّفة وفيها نفس صوفيّ واضح[٣]، وذلك في قطعة «يا راحلين» يردف قائلاً:

يا سائق الظّعن! قلبي في رحالكم أمانةٌ رعيُها عهدٌ وإيمانُ
ردّوا المطيَّ وإلّا ردّها نَفَسي ومدمعي فهُما سيلٌ ونيرانُ

(المصدر نفسه: ٤٢)

٢-٣. الملالة والحزن من الحياة الدّنيا

يعتقد الخيّام أنّ الحياة وهم وخيال وسراب سريعة الزّوال والانقضاء، والإنسان يعيش بين الوهم والخيال، وتلك مأساة الوجود عند الخيّام:

كلٌّ ما قد رأيتَ في الدّهر وهمٌ والّذي قلتَ لو سمعتَ خيالُ
باطلا قد غدوتَ في الأرض تعدو وكذا الانزواء في الدّار آلُ

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ١٤٤)

كذلک ينظر الخيّام إلى الحياة نظرة تشاؤميّة ونظرة كالحة للحياة وينفر من الدّنيا:

إن لَم يَكُن حظُّ الفتى فِي دَهرِهِ إلاّ الرّدَى ومَرارَة العيشِ الرّدِى
سَعِدَ الّذى لَم يَحيَى فِيهِ لَحظَة حَقّاً وأسعَدُ مِنهُ مَن لَم يُولَدِ

(المصدر نفسه: ٧٢)

إنّ الشّباب هو عنوان السّعادة والفرح وبهجة الحياة، لكنّ الشّباب لا يدوم أنّه سريع الزّوال ويبكي الخيّام شبابه في كثير من الرّباعيّات حين انقضت معه الأفراح، وحلّت بعده الأتراح حيث يقول:

قَد انطَوَى سِفر الشّباب واغتَدَى رَبيعُ أفراحِي شِتاءً مُجدِبا
لَهَفى لِطيرٍ كَانَ يُدعَى بِالصبا متى أتَى وَأىَّ وَقتٍ ذَهَبا

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ٥٨٤)

كذلک يتحسّر عرار على سرعة مرور أيّام الصّباء دون أن يفهم متى جاءت وكيف انقضت ولم يستفد منها كأنّ حياته كانت سراب ليس إلاّ. وذلک في قطعة شعريّة «ظلمات من الشّقاء» في البحر الخفيف، حيث يقول:

ظلمتُ من الشقاء حياتي وسراباً رأيتُها في سرابِ
وعلى هاجري هدرتُ شبابي ثم كفنتُهُ ببردِ شبابي

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٧٩-٨٧)

يدعو الخيّام إلى الموت لتخلّص من الشّقاء ومحنة العيش حيث يقول:

إن كُنتَ لا تفنى سِوَى مرّة فافنَ وَدَع هذا الأسَى والشّقاءُ
وَكُن كَأن لَم تَحوِ ذا الجِلدَ أو ذا الدّمَ واللّحمَ وَخَلّ العَناء

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ١١٠)

ويظهر عرار ملالته وحزنه من الحياة في شعره تحت عنوان «كتابة على قبر منتحر» في البحر الوافر، ويميل إلى إعدام نفسه، لأنّ حياته مملوءة بالمحنة والاضطراب، وذلک متأثّرا بالخيّام:

عليّ انقضت الآلام حتّى طلبتُ الموت في شرخ الشّباب
أيا يا من يلمني على انتحاري عتابي خلّة وأسمع جوابي
مماتُ المرءِ أفضلُ من حياةٍ تُقضى بالشّقا والاضطراب

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٢٦٥)

٢-٤. الخلاعة والتّرف

المبدأ الأساسيّ عند عمر الخيّام هو التّمتّع بالحياة قبل زوالها، وهو مبدأ الأبيقوريين[٤] الّذين يدعون إلى اقتطاف خيرات الحياة والتّمتّع بيومک قبل أن ينقضى، وذلک واضح تمام الوضوح في الرّباعيّتين التّاليّتين:

دَع ذِكرَ أَمسٍ فهُوَ قَد مَرَّ وَدَع ذِكرَ غَدٍ فَإنّهُ مَا وَرَدا
لا تُعنَ فِيمَا لَم يَرِد وَما مَضَى وأشرَب لِئلاّ يذهَبَ العُمرُ سُدى

ذَا أوانُ الأزهـارِ والـرّاحِ وَالصّحـ ـبُ نَشـاوَى فَاهنَأ فَهَـذا الوُجُـودُ

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ١٥٢)

الهوى والدّعوة إلى شرب الخمر دين الخيّام وهو موضوع أساسيّ في الرّباعيّات الخيّاميّة:

فِـيمَ ورَوضُ سَـعدِكَ اليَـومَ زَهـى كَفُّـكَ مِـن كَـأسِ المُـدامِ تُصـفِر
إشرَب فَهَـذا الدّهرُ خَصمٌ غَـادرٌ وَنيـلُ مِثـلِ اليَـومِ سَـوفَ يَعسُـر

(المصدر نفسه: ٣٦)

ويميل عرار إلى الخلاعة والتّرف في ديوانه «عشيّات وادى اليابس»، وفي ذلك تأثّر بالخيّام أيضاً، حيث يقول:

إنّ الحيـاة هـي الكـوَّوسُ وربَّمـا كـانَ الضَّـلالُ بِهِـنّ بَعـضَ هُـداكا
اليومَ خمرٌ، فلا تَحفِل بأمرِ غدٍ ولا بوســـــواسِ إقبـــــالٍ وإدبار

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٤٩٤)

يدعو عرار إلى اللّذات الماديّة ومعاقرة الخمر متأثّراً برباعيّات الخيّام، وذلك في سداسيّته «أخو طرب» في البحر الكامل، منها:

بادرْ إلـى اللّـذات قبـلَ فـوات وهلـمّ نُهمـلْ، فالزّمـانُ مـؤات
أُسـقي، وأشـربُها، وأعـرفُ أنّهـا رجسٌ، ومن عمـل اللّعين العاتي

(الملثم، ١٩٨٠: ٣٠)

يفسّر الخيّام لماذا ينبغي التّمتّع بالحياة؟ ولماذا ينبغي أن لا يدع المرء اليوم يمرّ دون أن ينغمس في السّعادة؟ ويغوص في المتعة والنّعم وشرب الخمر إلى الذّقن، فاليوم الّذي يمرّدون أن يكون الإنسان فيه سعيداً لا يعدّ من العمر بل يذهب سهلاً وخسارة يقول:

بادِر فَسـوفَ تَعُـودُ أدراجَ الفنَـا وَسَـتترُكُ الجُثمـانَ مِنـكَ الـرُّوحُ
وَأشرب وَعِش جَذِلاً فَلَستَ بِعالِمٍ مِـن أينَ جِئـتَ وَأينَ بَعـدَ تَـرُوحُ
وهـاتنى كُـوزَ المُـدام قبـلَ أن يُصـنعَ مِـن رُفاتنـا كُـوزُ الطّـلاَ

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ١٦٩)

وفي النّهاية يبيّن عرار شاعر الأردن فلسفة حياته وأبعادها في قصيدته «أقبل السّاقي» في بحر الرّمل وذلك تأثّراً بالخيّام أيضا:

أقبـلَ السـاقي فقولـوا حـيهلا وأديـروا بيـنكم كـأسَ الطـلا
ما على الشيخِ ولستُ ابنَ جلا أنا إن سـاومتُ «قعـوارَ» علـى
عمّتي وابتعتُ بالعِمّةِ خمرة

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٣٩٧)

٢-٥. الحياة بعد الموت

يعتقد الخيّام أنّ التّعامل مع كلّ إنس بعد الموت في مختلف طبقاتهم سيكون على مستوى واحد ويتساوى الملك والمسكين في القبر:

مَـرَرتُ بِمَعمَـلِ الخَـزّافِ يَومـاً وَكـانَ يَجِـدُّ فِي العَمَـلِ الخَطِـيرِ

وَيَصـنَعُ لِلجِـرارِ عُـرىً ثَراهَـا يَـدُ الشّـحّاذِ أو رَأسُ الأَمـيرِ

(الصّافي النّجفي، ٢٠٠٣: ١٠٩)

وكذلک يتحدّث عرار عن التّساوي بين الملك والمسكين في القبر حيث يقول:

لا تخَـف ظلمـةَ القبـورِ ففيهـا يتسـاوى الأفـذاذُ والأوغـادُ

وينـامُ الصُّـعلوكُ جنبـاً لجنـبٍ والسـراة الّـذين شـادوا وسـادوا

(صالح الزّعبي، ١٩٩٨: ٣٩٧)

لا يتوقّف مدى تأثّر عرار بالخيّام بهذا المستوى، بل يشكو عرار في قصيدته تحت عنوان «بقايا ألحان وأشجان» في البحر البسيط من صحابه الّذين ودعوه وتركوا لوعة في قلبه، وذلك متأثّراً بالخيّام، حيث يقول:

أين النـدامى؟ مضـوا كـلٌّ لطيتـه وخلّفـوني بهـذا الكـوخ وحـداني

فـلا كـؤوسٌ، ولا سـاق ولا وتـرٌ يشـنّفُ اليـوم، واويـلاهُ آذاني

والصحبُ أضرب حَتى عن إعارتنا دمعـاً تمـوجُ بقـاياهُ بأشـطاني

(وهبى التّل، ١٩٩٩: ٢٥)

وذلک متأثّر بهذه الرّباعيّات الخيّاميّة:

أرى كُـلَّ خِـلاّنِ الوَفـاءِ تَفَرّقُـوا فَبَـينَ صَـريعٍ للـرّدى وَقَتيـلِ

شَـرِبنَا شَـرَاباً وَاحِـداً غَـيرَ أنَّهُـم بِـهِ ثَمِلُـوا مِـن قَبلِنـا بِقَليـلِ

(صالح الزّعبي وزملائه، ٢٠٠٢: ٣٢٩)

وعرار في قصيدته تحت عنوان «ياراهب الدّير» في البحر البسيط، يتشبّه بالخيّام وابن سينا:

تلومـوني أنّـي، يا ابـني أعاقرُهـا يا «وصف» هبني جلال الدّين دواني

أو أنّـني ابـنُ رشـدٍ في مباذلِـهِ أو أنّـني عمـرُ الخيّـام يا جـاني

أو أنّني (ابنُ سينا) وقد كانت مجالسُهُ للأُنـس يحـدو بهـا الحـادي بركبـانِ

(غسّان إسماعيل، ١٩٩٧: ٥٦)

٣. النّتيجة

لقد كان مصطفى وهبي التّلّ وفقاً لمعطيات زمانه في النّصف الأول من القرن العشرين متعدّد الاهتمامات المعرفية والميول الفكريّة وإنتاجات الإبداعية. وعلى الرّغم ممّا خلف من آثار في القصّة والمقالة والنّقد والاجتماع والسّياسة الّتي جعلت دارسيّه في العقود الأخيرة يهتمّون بها وينشرونها نشراً علميّاً مدروساً فإنّ الشّعر في الدّرجة الأولى والتّرجمة ثانياً يظلّان شغله الشّاغل لاسيّما أنّ ترجماته والرّباعيّات الخيّاميّة خصوصاً رفدت شعره وأثرت فيه تأثيراً واضحاً لمن ينعم النّظر فيه إنعاماً مبعثه المعرفة بالرّباعيّات والخيّام معرفة عميقة.

كان تأثّر التّلّ بالخيّام أكثر وضوحاً وشمولاً بالنّسبة للآخرين من الشّعراء العرب إذ انطلق من شعره ليعرب عن الخمرة الّتي عكف عليها وكان مثل الأقدمين لا يستطيع نسيانها ولا ابتعاد عنها ويكاد كلامه على الخمرة وأوصافها وما تفعله لا يخرج عمّا قاله الخيّام على الرّغم من أنّه كان صادقاً في مشاعره كلّ الصّدق ووفياً لفلسفته في الحياة. بكلّ أحوال تشيع الفلسفة الخيّاميّة وروحه في جلّ منظوم عرار ومنثوره ويلاحظ ذلک كلّ من تعمّق في فلسفة الخيّام وقرأ عرار آثاره المنثورة والمنظومة ولقد حمله تأثّره بالخيّام على ترجمة رباعيّاته نثراً ونظماً. أمّا

بالنّسبة إلى ترجمته للرباعيّات لازم أن نؤكّد أنّ هناك أخطاء واضحة لأنّه لم ينتبه معنى الرّباعية بشكل دقيق وانتاب بعض الرّباعيّات المترجمة من تصرّف الزّيادة والنّقص أو ما دلف إليها من تفسيرات واستطرادات استلهمها المترجم وهو الشّاعر من أجواء الرّباعيّات وأفكارها.

كذلك يوجد تشابه بين الخيّام وعرار، للخيّام صلة خاصّة ووطيدة مع زعماء الحركة الفكريّة والسّلاطين ورجال السّياسة كالغزاليّ (١٠٥٨-١١١١ م) وملكشاه السّلجوقيّ، وكان يحظى بشهرة ومنزلة خاصّة عندهم، كذالك لعرار علاقة جيّدة مع ملك الأردن الأسبق الملك عبدالله، ورجاله كالشّيخ نديم الملاح (١٩٧٦ م). وأيضاً عمر الخيّام وعرار كانا متمتّعين بشهرة واسعة في عصرهما، وتركا مجموعة كبيرة من الآثار النّثرية، إلى جانب ديوانهما الشّعرى. وقد نالا هذا الصّيت العظيم بفضل ما كان لهما من علم وأدب وحكمة. يري الخيّام أنّ الخمر هو الوسيلة الوحيدة إلى النّجاة من آلام الحياة الشّديدة وهذا الأمر جعل الخيّام يغلو في مدح الخمر ويسرف في شربها، وهكذا دواليک يشرب عرار الخمر ويدعو إلى شربها ويغلو فيها وذلک من أجل الهروب من محنة العيش ومرارتها وعدم نجاته في أهدافه في الحياة. وأيضاً كتبت كتب ومقالات ورسائل جامعيّة عن الخيّام ولا تزال هذه المحاولات مستمرّة، وكذلک يتمتّع عرار بنفس المنزلة والقيمة في العالم.

٤. الهوامش

(١) هو «مصطفي وهبيّ» بن صالح بن المصطفى اليوسف التّلّ، وقد سمّي مصطفى تيمناً باسم جدّه لأبيه، ثمّ أضيف إليه وهبي على عادة الأسر عهد ذلک فأصبح الإسم مركباً «مصطفى وهبي التّلّ» ولقبه عرار نسبة إلى الشّاعر الجاهليّ المخضرم، «عرار بن عمرو بن شأس الأسديّ» لتشابهه في مرحلة الطّفولة به فقد اختاره الشّاعر لنفسه يوقع به أعماله الأدبيّة وقصائده الشّعرية وكنيته «أبو وصفيّ» وهو أوّل وزير في «الأردن» ولد بمدينة «إربد» بشمالي «الأردن» في غرفة متواضعة من بيت جدّه، هذا البيت الممتد الّذي كان يسكنه جدّه وزوجاته وأولاده ومنهم والد الشّاعر ووالدته وبقيّة العائلة في ١٤ محرم ١٣١٧ هـ الموافق ٢٥ أيار/ مايو عام ١٨٩٩ م وتوفّى فيها في ٢٤ أيار، عام ١٩٤٩ م.

والدته الّذين كانا يعيشان في صراع متّصل، جعله يبتعدّ عنهما، ويتعلّق بجدّه الّذي كان يصطحبه إلى المراعي والحقول، وأدّى هذا الصّراع إلى طلاق أمّه في النّهاية وهذه إثارة أولى جعلته ينهزم في معركة الحياة، فينتحر انتحاره البطيء بالخمرة والشّذوذ في سلوكه وحبه وكرهه.

عاش مصطفى حياةً خصبةً مليئة بالأحداث الّتي أثرت فيه، فلقد شهد النّصف الأوّل من هذا القرن – حيث عاش مصطفى – أحداثاً جساماً، إذ انحسر الحكم التركيّ عن وطنه الصّغير «الأردن»، وحلّ محلّه مستعمر أشدّ وطأة، هو الاستعمار الإنجليزيّ الّذي سيطر على مقدّرات «الأردن» السّياسيّة والاقتصاديّة، وعمل على إبقاء الشّعب غارقاً في الجهل والبؤس والشّقاء. فوقف مصطفى في وجه المستعمرين الجدد، كما وقف في وجه من سبقهم، وأعلن ارتباطه بالوطن ارتباطاً بلغ درجة التّقديس، كما وقف منافحاً عن حقوق أبناء شعبه في الحريّة والاستقلال والعيش الكريم، وحاول تحريكهم ضدّ مرهقيهم، ودعاهم للمطالبة بحقوقهم وحرّيتهم، فناله الإرهاق من جرّاء دعوته هذه. (الطّريفي، ٢٠١٠: ٢٨)

تلقى «مصطفى» تعليمه في «إربد»، ثمّ في «دمشق»، فحلب حيث أنهى تعليمه الثّانويّ فيها عام ١٩٢٠ م. وفي أثناء دراسته هذه تعلّم اللّغة التّركيّة، وهي اللّغة الرّسميّة وقتذاک، كما عرف الفارسيّة، وكذلک تعلّم الفرنسيّة، كما يظهر في شهادته الّتي حصل عليها من المدرسة «السّلطانية» في «حلب». وفي هذا المجال أتاحت له معرفته باللّغتين التّركيّة والفارسيّة، الاطّلاع على آداب هاتين اللّغتين، والفارسيّة منهما بخاصّة، فلقد شغف بعمر الخيّام، فترجم رباعيّاته ترجمة نثريّة، وكتب عن وطنه «إيران»، وبحث في فلسفته، كما اهتمّ بأدباء الفرس الآخرين أمثال: سعدي الشّيرازيّ (١٢١٢-١٢٩١ م)، وجلال الدّين الروميّ (١٢٣٠-١٢٧٣ م)، وحافظ الشّيرازيّ (١٣٢٠-١٣٨٩ م). ويعدّ عرار أوّل أديب أردنيّ يتعلّم اللّغة الفارسيّة في القرن الماضي، وذلك إثر انجذابه إلى عمر الخيّام. لذا ترجم مائة وتسع وستّين رباعيّة من الفارسيّة إلى العربيّة، وهذه التّرجمة هي التّرجمة الأولى الّتي تمّت من اللّغة الفارسيّة مباشرة.

ترك عرار مؤلّفات عديدة بين الكتب والمقالات والدّراسات أهمها:
عشيات وادي اليابس (ديوان شعر)، *بالرغاه والبنين* (كتيب)، *رباعيّات عمر الخيّام* (مترجم، دراسة وتحقيق)، *صحفي قارح* (قصّة مترجمة) «الشّرق العربي» (مقالة)، «لصوص» (مقالة)، عمر الخيّام وإبن ميمون (دراسة)، الرّوح الشّعرية (دراسة) ورسالة إلى الكرمل (رسالة). (بكار، ١٩٨٨: ٢٦٥)

(٢) كان لكلّ سلطان وأمير ووزير في حكومة السّلاجقة غلمان وعبيد مليحو الوجوه، يحلّون محلّ النّساء في حياتهم الخاصّة. وكان عدد غلمان بعض السّلاطين يصل إلى عدّة آلاف...؛ وقد أفتى بعض الفقهاء بجواز عشق الغلمان إرضاء للحكّام وخوفا من بطشهم (الحفني، ١٩٩٢: ٣٧).

(٣) أخذ «عرار» بـ«الخيّام» والشّخصيّة الخيّاميّة طيلة حياته، وظلّ محور اهتمامه. ففي المرحلة الأولى من معرفته «الخيّام»، وكان مازال صبيّاً، اتّخذه مثالاً يحاكيه محاكاة ساذجة تنسجم مع عمره، ظهرت في سلوكه، وفي بواكيره الشّعريّة الّتي يحمل بعضها آثاراً خيّاميّة واضحة. لكنّه في مرحلة تالية، انكبّ على قراءة «الخيّام»، وقراءة ما كتب عنه محاولاً فهم فلسفته وشخصيّته. فعكف في مطلع العشرينات من القرن العشرين على ترجمة رباعيّات «الخيّام» ترجمة نثريّة. اعتمد فيها على معرفته القليلة باللّغة الفارسيّة الّتي قال إنّه تعلّمها من أجل قراءة الرّباعيّات بلغتها الأمّ، وعلى معرفته الجيّدة باللّغة التركيّة الّتي قرأ فيها ترجمة «حسين دانش» (أستاذ الأدب الفارسيّ في دار الفنون بالآستانة سابقاً) والفيلسوف العثمانيّ المعروف «رضا توفيق» للرباعيّات، إضافة إلى استعانته بترجمة «وديع البستانيّ»، وكانت نتيجة عمل «عرار» هذا ترجمة لمائة وخمس وخمسين رباعيّة من رباعيّات «الخيّام»، وضعها في صورتها النّهائيّة في دفتر واحد، إضافة إلى عدد آخر من الرّباعيّات ظهرت في غير مكان وتعدّ ترجمة «عرار» من أقدم التّرجمات العربيّة الشّعريّة والنّثريّة لرباعيّات «الخيّام». لم يقتصر اهتمام «عرار» على ترجمة رباعيّات «الخيّام» بل جاوزها إلى الاهتمام بشخصيّة «الخيّام» وآثارها الأدبيّة والعلميّة. فقد سعى في الأربعينات إلى إخراج كتاب عن «الخيّام»، وقطع بعض الخطوات العلميّة في هذه السّبيل. فكتب توطئة للكتاب، تحدّث فيها عن العوامل الّتي يتأثّر بها الأدباء والمفكّرون متبنّياً الرّأى القائل بأنّ كل أديب وفنّان يستمدّ من أمّته وزمانه وعناصر فنّه. ولما كان موضوع بحثنا هذا «عمر الخيّام» وهو أحد النّوابغ الّذين قضى إهمال المؤرّخين في الشّرق وأخذهم بقشور الأخبار دون لبابها من غير تمحيص أو تدقيق، وما لحق بالكتب الشّرقية من الضّياع والعفاء، قضى بأن تحوم حول شخصيّته الشّكوك والشّبهات، وأن تكون سيرته مسرحاً لمتضارب الأقوال، وعقيدته موضعاً لمتبايّن الآراء، لم نر بدّاً قبل البدء بسرد سيرته وبحث شاعريّته، وما نحاه في فلسفته الّتي ضمنها رباعيّاته من المناحى، من وضع صورة موجزة نصب أعين القرّاء للمحيط الماديّ والمعنويّ والوراثيّ الّذي أثر على نفس الخيّام، ويمضي «عرار» بعد هذا إلى الحديث عن علاقة «الخيّام» بمحيطه وتأثّره به، وظهور صورة ذلك المحيط في رباعيّاته، وفي هذا الإطار يمضى إلى الحديث عن «إيران» أو بلاد العجم، جغرافياتها وموقعها، بوصفها المحيط، الّذي عاش فيه «الخيّام». ويمعن في الحديث عن هذا المحيط وعناصره وفي مكان آخر، وربّمافي زمن آخر، نجد «عراراً» يواصل رحلة البحث عن «الخيّام» وآثاره، فيلقي محاضرة في النّدوة الأدبيّة بعمان يعلن فيها أنه اكتشف «رسالة الكون والتّكليف» لـ «عمر الخيّام»، وفي هذه المحاضرة يقدّم «عرار» مادّة علميّة موثّقة وواسعة عن «عمر الخيّام»، واهتمام الغربيين به؛ ممّا يدلّ على اهتمام عميق متّصل بالموضوع، وعلى معرفة طيّبة بالحضور الخيّاميّ في الغرب. ويذهب «عرار» في محاضرته إلى أن «عمر الخيّام» لم يكن سكيراً زنديقاً، بل كان شاعراً متصوّفاً من طراز «ابن الفارض» (٦٣١ هـ/ ١٢٤٢ م). ويقدم تعليلا لرأيه سلسلة من الأدلّة والمقارنات بينه وبين غيره من الفلاسفة، وعلى وجه التّحديد «ابن سينا» (٩٨٠–١٠٣٧ م)، و«ابن ميمون» (١١٣٥–١٢٠٤ م). وإضافة إلى هذا كلّه، فثمة مقالتان مشهورتان عن «الخيّام» ورباعيّاته نشرهما في مجلّة «مينرفا». يحاور فيهما «أمين نخلة» (١٩٠١–١٩٧٦ م) حول ترجمة الأخير للرباعيّات الّتي رأى «عرار» أنّها غير دقيقة. وهناك عود إلى «الخيّام» في مسوّدة مقالة، كان يزمع نشرها في جريدة «الأردن»، تحدّث فيها عن ترجمة «البستانيّ» لرباعيّات «الخيّام»، وأشار إلى بعض التّرجمات العربيّة الأخرى (صالح الزّعبي، ١٩٩٩: ٧).

(٤) لا شكّ أنّ الفلسفة الأبيقوريّة كانت تتلاءم وظروف عصر الخيّام الّذي كانت تسود فيه المتع ويعمّه القلق والتوتّر، ويلقي فيه البعض

النّعيم والهناء ويشفي فيه البعض كلّ الشّفاء، فإذا سار الخيّام على هذه الفلسفة فأنّها توائمه وتسدّ احتياجاته كشخص ناجح لم ينل ما ناله من هم أقلّ منه شأنا، واحتياجاته الّتي يحسّ أنّه حرم منها رغم استحقاقه لها، احتياجاته الّتي تتمثّل بالجاه والثّراء والشّهرة وحرّيّة التّفكير والتّعبير والنّقد والبحث. وكان الخيّام يدعو إلى اعتناق هذه الفلسفة أكثر من غيرها وينظم في ذلك رباعيّات تتسم بالطّرافة وروعة التّعبير فيقول في الدّعوة لشرب ووجوب اغتنام فرص السّعادة الّتي يوفّرها الكأس والنّديم وصحبة الجميلات وسماع الموسيقا والألحان... قبل ضياع الوقت وانتهاء العمر.

المصادر

الف: الكتب

١. البستاني، وديع (١٩٨٨)؛ **رباعيّات عمر الخيّام**، الطّبعة الثّالثة، تقديم مصطفى لطفي المنفلوطي، القاهرة: دار العرب للبستاني.

٢. بكار، يوسف (١٩٨٨)؛ **الدّراسات العربيّة لرباعيّات الخيّام**، دوحة: مركز الوثائق والدّراسات الإنسانيّة، جامعة قطر.

٣. دشتى، على (١٣۶۴)؛ دمى با خيّام، چاپ اوّل، تهران: اساطير.

٤. الصّافي النّجفي، أحمد (٢٠٠٣)؛ **رباعيّات عمر الخيّام**، الطّبعة الأولى، بيروت: مؤسّسة البلاغ.

٥. صالح الزّعبي، زياد (١٩٩٩)؛ **على هامش العشيات**، الطّبعة الأولى، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر.

٦. ــــــــــ (١٩٩٨)؛ **عشيات وادي اليابس**، الطّبعة الأولى، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر.

٧. ــــــــــ (٢٠٠٣)؛ **عرار والخيّام**، الطّبعة الأولى، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر.

٨. ــــــــــ وزملائه (٢٠٠٢)؛ **مصطفى وهبي التلّ (عرار): قراءة جديدة**، الطّبعة الأولى، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر.

٩. صفا، ذبيح‌اللّه (١٣۶٩)؛ تاريخ ادبيات ايران، چاپ اوّل، تهران: فردوس

١٠. الطّريفي، عطا يوسف (٢٠١٠)؛ **مصطفى وهبي التّلّ، حياته وشعره**، الطّبعة الأولى، بيروت: الأهليّة.

١١. الطّويلي، أحمد (٢٠٠٣)؛ **عمر الخيّام شاعر الحبّ والحياة**، الطّبعة الأولى، تونس: الشّركة التّونسيّة للنّشر وتنمية فنون الرّسم.

١٢. قربان‌زاده، بهروز (٢٠١١)؛ **عمر الخيّام بين آثار الدّارسين العرب**، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الإرشاد.

١٣. الملثم، البدوي (١٩٨٠)؛ **عرار شاعر الأردن**، الطّبعة الثّانية، بيروت: دار القلم.

١٤. وهبي التّلّ، مصطفى (١٩٩٩)؛ **رباعيات عمر الخيّام**، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الجيل.

ب: المجلّات

١٥ ٠ غسّان إسماعيل، عبد الخالق (١٩٩٧)؛ «دوافع التّجربة الشّعريّة عند المصطفى وهبي التّلّ»، **مجلّة فيلادلفيا**، العدد ١، ص ٥٦

١٦ ٠ وهبي التّل، مصطفى (١٩٢٥)؛ «الخيّام ورباعيّاته»، **مجلّة منيرفا**، السّنة الثّالثة، الجزء الرّابع، ص ١٧.

کاوش‌نامهٔ ادبیّات تطبیقی (مطالعات تطبیقی عربی - فارسی)
دانشکدهٔ ادبیّات و علوم انسانی، دانشگاه رازی، کرمانشاه
سال هفتم، شمارهٔ ۲۵، بهار ۱۳۹٦ هـ ش/ ۱٤۳۸ هـ ق/ ۲۰۱۷ م، صص ۱۳۱-۱٤٦

جنبه‌های مختلف تأثیرپذیری مصطفی وهبی التّلّ از عمر خیام نیشابوری[۱]

بهروز قربان‌زاده[۲]
استادیار گروه زبان و ادبیّات عربی، دانشگاه مازندران، ایران
رفیق عطوی[۳]
استاد دانشگاه لبنانیه و استاد مدعو دانشگاه عربی، بیروت

چکیده
بسیاری از ادیبان وشاعران عرب از عمر خیّام تأثیر پذیرفته‌اند، بیشتر تأثیرپذیری آن‌ها از طریق ترجمهٔ رباعیّات خیّام به زبان عربی بوده است که در اشعار آن‌ها فلسفه و اندیشه‌های خیّام به وضوح دیده می‌شود. مصطفی وهبی التّلّ، نویسنده و شاعر اردنی (۱۸۸۹-۱۹۴۹)، ایلیا ابو ماضی، نویسنده و شاعر لبنانی (۱۸۸۹-۱۹۵۷)، تیسیرسبول (۱۹۳۹-۱۹۷۳) و محمود عبّاس عقّاد، نویسنده و شاعر مصری (۱۸۸۹-۱۹۶۴) و جمیل صدقی الزّهاوی، نویسنده و شاعر عراقی (۱۲۸۰ هـ/ ۱۸۶۳ م) از جمله متأثّرین به اندیشهٔ خیام هستند که سهم تأثیرپذیری عرار بیشتر از دیگران بوده است. در این مقاله، تلاش می‌شود برای اثبات این تأثیر وتأثّر، ضمن استفاده از مراجع و منابع موجود در کتابخانه‌های داخل و خارج کشور، با بهره‌گیری از روش توصیفی - تحلیلی و با تجزیه و تحلیل شعر هر دو شاعر بپردازیم. نتایج به دست آمده از این پژوهش، نشان می‌دهد که تأثیر خیّام بر عرار بسیار واضح است و این تأثیر پذیری در تمامی زمینه‌های زندگی شخصی و ادبی وی نمایان است تا حدّی که موهای خودش را به مانند خیام بلند کرده و روی شانه‌های خود می‌آویخت. افزون بر آن، عرار در نوشیدن شراب و سرودن اشعاری پیرامون آن دقیقاً طبق روش خیّام عمل کرده و همانند خیّام وصیّت می‌کند که بعد از فوت او را با شراب غسل دهند و نعش وی را با تابوتی که از چوب درخت انگور ساخته شده تشییع نمایند و این تأثیرپذیری وی از خیّام، در قصیدهٔ اغسلونی بالخمر بازتاب گسترده و ویژه‌ای یافته است.

واژگان کلیدی: ادبیّات تطبیقی، عمر خیّام، مصطفی وهبی التّلّ، ترجمه، تأثیر و تأثّر، رباعیّات.

---

۱. تاریخ دریافت: ۱۳۹۵/۷/۱۲ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۵/۱۲/۱۸
۲. رایانامهٔ نویسندهٔ مسئول: b.ghorbanzadeh@umz.ac.ir
۳. رایانامه: r.atvi@gmail.com